المبالغة في الشعر الأندلسي وقبولها دخول أدوات التقريب

الباحثة : حلا زيارة هاشم

أ. د. خالد عبد الكاظم عذاري

جامعة البصرة ــ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة ــ قسم اللغة العربيَّة

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة ما قبل من الإغراق للمبالغة في الشعر الأندلسي لدخول الأدوات التي تقربه الى الصحة وامكانية الوقوع ، فتجعله مقبولاً وقريباً الى ذهن المتلقي واقتضت خطة البحث أن يتصدر بتمهيد خصص الحديث فيه عن الأسباب التي أدت الى قبول الإغراق ومنه دخول الأدوات عليه ، وعرض لشواهد الموضوع وتحليلها والوقف فيها على المبالغة المقبولة لحضور تلك الأدوات ، ثم خاتمة بأهم النتائج ، تلي ذلك قائمة بمصادر البحث ومراجعة .

الكلمات المفتاحية : الإغراق المقبول ، المبالغة ، أدوات التقريب الى القبول .

Exaggeration in Andalusian poetry and its acceptance of the introduction of tools of approximation as a model

Reseacher : Halla Ziyara Hashim

Prof. Dr. Khalid Abdul Kadhem Athari

Dept. of Arabic Language, College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

This research deals with the study of what is accepted from the dumping on exaggeration in Andalusian poetry to enter the tools that bring it closer to the truth and the possibility of occurrence, making it acceptable and close to the mind of the recipient. The research plan necessitated that it be preceded by a preface devoted to and stopping in it on ،talking about the reasons that led to the acceptance of dumping the exaggeration accepted of attending these tools, then a conclusion with the most important results, followed by a list of research sources and a review.

Keywords: Acceptable dumping , Exaggeration , good imagination.

التمهيد:

المبالغة فن بارز من فنون البديع يقع تحت طائلة المحسنات المعنوية في الكلام ، يصل بها الوصف إلى أعمق معانيه ويبلغ بها ذروته ، "وهي عملية ابداعية يحسها الشاعر في خوالج نفسه فيعمد إلى اثارتها في نفس المتلقي"[١]، فمن الشعراء من يجيد المبالغة ويحسن استعمالها فهي تعطي للوصف رونقاً وجمالاً وتمزج بين الواقعية والخيال ، فعندما يبالغ الشاعر يعرض مشهداً خيالياً مختلفاً لا يمكن للمتلقي أن يتوقعه ، فالمبالغة لها دور كبير في اضفاء الملامح الجمالية والفنية للعمل الأدبي ولذلك جنح لها الكتاب والشعراء قديماً وحديثاً .

وللمبالغة مستويات جمالية وفنية ثلاثة هي (التبليغ والإغراق والغلو) ، أما الإغراق فهو ما كان فوق المبالغة ودون الغلو ، فما يتخيله الشاعر ممتنع عادةً لا عقلاً لكنه صار مقبولاً ؛ لاقترانه بإحدى الأدوات التي تقربه إلى القبول فتقلب المعنى من الامتناع إلى الإمكان [٢] .

الإغراق وقبوله لدخول الأدوات :

وهو أجلبها إلى حسن الاصغاء أن يقترن به ما يقربه إلى الصحة وامكان الوقوع فينطق الشاعر فيه ب (قد) للاحتمال و(لو) و(لولا) للامتناع و(كأن) للتشبيه و(كاد) للمقاربة ، وما شاكلها من الأدوات التي تقرب المعنى من الصحة وتجعله مقبولاً ، فيظهر حسنه ويبهر شكله ومن ثم يمكن للمتلقي عبر هذه الأدوات استيعاب النص بيسر وسهولة [٣] .

من ذلك قول ابن اللبانة (ت ٥٠٧ هـ) مادحاً : [٤]

ومَنْ لم يسلم في الديانةِ والدُّنا إلى ناصرِ الأنصار ليس بمسلمِ

...

صفا فلو أنَّ الشمس تعطي شعاعه لما احتجبت في ليلٍ أربَدَ اقْتَحمِ

لقد استعان الشاعر بالمبالغة في رسم صورة للممدوح فاق فيها الشمس اتّقاداً ، فقد ملك حسّاً مُرهفاً بجمال الطبيعة الأندلسية وسحرها، فأراد أنْ يبرِّز جمال الممدوح واشراقة وجهه ، فشخَّص الشمس وضياءها لرسم تلك الصورة التي يريد نقلها إلى المتلقي ، فلو استمدت منه أشعتها لسطعت مضيئة حتى في اللّيل الشديد السواد :

(صفا فلو أنَّ الشمس تعطي شعاعه لما احتجبت في ليلٍ أربَدَ اقْتَحمِ)

لقد أفرط الشاعر في إضفاء صفة الإشراق على ممدوحه ، فبلغ الوصف عنده درجة تستحيل في العادة ، إذ إنَّ استمداد الشمس أشعتها من الممدوح أمر لم يحدث ولن يحدث ، لكنّها لا تمتنع عقلاً، إذْ من الممكن أنْ يتقبّل العقل ذلك الوصف المبالغ فيه في بيان اشراق وجه الممدوح لدخول أداة الامتناع (لو) على الإغراق ، فقربته إلى الصحة وجعلته حسناً مقبولاً " فالمقبول لابد أنْ يقربه الناظم إلى القبول بأداة التقريب "[٥] .

ومن ذلك أيضا ما وجد في قصيدة الحصري القيرواني (ت ٤٨٨هـ) المدحية والتي يقول في مطلعها :[٦]

يا ليل الصَّبِّ متى غدُهُ أ قيامُ الساعةِ مَوْعِدهُ ؟

. . .

لو أنَّ الصخْرَ سقاهُ نَدَى كَفَّيْكَ لأَوْرَقَ جَلْمَدُهُ

والرُّكْنُ لو أنَّكَ لامِسُهُ لأبْيَضَّ بكفِّكَ أسْوَدُهُ

اعتمد الشاعر على الإغراق في المبالغة في وصف كرم ممدوحه ، مُبالغاً حدّ الإفراط فيه ، فكفا الممدوح تفيض عطاءً لدرجة أنَّ الصخر القاسي تبث فيه الحياة ويورق ، لسقوط القطرات الخفيفة الرطبة عليها :

(لو أنَّ الصخْرَ سقاهُ نَدَى كَفَّيْكَ لأَوْرَقَ جَلْمَدُهُ)

والركن الأسود بمجرد ملامسةٍ من كف الممدوح يتحول سواده إلى بياض :

(والرُّكْنُ لو أنَّكَ لامِسُهُ لأبْيَضَّ بكفِّكَ أسْوَدُهُ)

إنَّ استعمال الشاعر للإغراق في أبياته إنَّما ليبين جود الممدوح وخيره وسخاءه الذي وصل فيه إلى درجة الإفراط ، فهذه المبالغات وإنْ كانت في الحقيقة بعيدة عن القبول والتصديق إلاّ أنَّها تحمل محمل الصحة والقبول ؛ لدخول أداة الامتناع (لو)عليها، فقد تفنن الشاعر في أبياته إذْ "أودعها بنات أفكاره ودقائق اسراره ، فكللها من الدرِّ أغلاه ، ومن البديع أعلاه ، فأتت وكأنَّها غادة حسناء ، وقد كساها من بهاء الطبع دلالاً ،. . . وكادت أنْ تطأ مفاخرها هامة الجوزاء" [٧] .

وقد كان للجواري أثر في نفوس الكثير من الشعراء في حياتهنَّ وبعد الممات " فقد عزفوا أشعارهم الحزينة الباكية على قيثارة الشعر الحزين الذي رثوا فيه زوجاتهم وأخواتهم وأهاليهم"[٨] ومن هؤلاء الشعراء ابن حمديس الصقلي (ت ٥٢٧ هـ) الذي شاع الصدق في عاطفته الذي وصل إلى درجة الإغراق في مبالغته عندما رثى جاريته جوهرة التي ماتت غريقة قائلاً :[٩]

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

أيا رشاقَةَ غُصنِ البان ما هَصَرَكْ و يا تأَلّفُ نظم الشملِ مَنْ نَثَرَكْ

أُعانقُ القبرَ شوقاً وهو مُشتملٌ عليكِ لو كنتُ فيه عالماً خَبَرَكْ

ووددتُ يا نورَ عيني لو وَقَى بَصَري جنادلاً وتراباً لاصقاً بشركْ

لقد أظهر الشاعر الأسى والحَيرة التي تملكتهُ ؛ لأنَّ كل ما في المرثية من صفات أهل للبكاء والرثاء ، ويزداد حزنه ، فلا الدموع تكفي ولا الذكرى عادت قادرة على عزائه فعانق قبرها شوقاً إليها ، ولرؤيتها ومعرفة ما سيحدث لها ، فأطلق العنان لنفسه كاسراً دائرة المألوف في الرثاء بإغراقٍ متمنياً من خلال معانقته القبر لو كان مدفوناً معها لتكون عيناه غطاءً لها بدلاً من الصخور:

(ووددتُ يا نورَ عيني لو وَقَى بَصَري جنادلاً وتراباً لاصقاً بشركْ)

لقد بدى الإفراط واضحاً في مبالغة الشاعر في تفجعه وبيان حزنه ، حين تمنّى أنْ يُدفن معها وأنْ يكون جسدها مغطى بعينيه بدلاً من التراب والصخور وهذا الأمر بعيد عن تقبل الواقع له، لكن الشاعر استطاع أنْ يُلطِّفه باستعماله لأداة من أدوات التقريب (لو) ليصبح الإغراق أوقع في نفس المتلقّي وأقرب إلى إستحسانه ، وهو بذلك يعكس حالته النفسية وما وصلت إليه من حزن سرمدي خيم على حياته ، عبَّر عنه باستعماله لأسلوب المبالغة المفرطة التي تتناسب وحزنه المفرط علَّه يوجد نوعاً من التوازن النفسي .

ويسرف الشاعر الأعمى التطيلي (ت ٥٢٥ هـ)على سبيل المبالغة في تجسيد مشاعر الألم والحزن في رثائه فنجد لها ذائقة خاصة وهو يقول :[١٠]

أقولُ وَضِقْتُ بالحدثانِ ذَرْعاً وقد شَرِقَتْ بأدْمُعِها الجفونُ

أجِدَّكُمُ بكتْ هضباتُ رضوى فكادَ الحزن فيها يَسْتَبينُ

وأشْفَقَتِ النجومِ الزهرُ حتى تبدتْ في النواظِرِ وهي جونُ

لقد أفرط الشاعر في تصوير دفع المصيبة التي بكت لها الهضاب الراسية ، واشفقت منها النجوم المضيئة حزناً ولوعةً على الفقيدة ، والذي خفف من اسراف الشاعر في الإغراق في المبالغة هو دخول لفظة (كاد) على النص ، (**فكادَ الحزنُ فيها يَسْتَبينُ**)، ممّا جعله أكثر قبولاً واستلطافا لاسيما أنَّ إغراق الشاعر في مبالغته جاء لإبراز الصورة اللائقة للمرثية وتشكيلها في ذهن المتلقي ، فضلاً عن تفاعل الطبيعة وجمالها مع صفاتها ومحاسنها ، فهي تبكي وتشفق حزناً على رحيلها :

(وأشْفَقَتِ النجومِ الزهرُ حتى تبدتْ في النواظِرِ وهي جونُ)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

لقد وظّف الشاعر مظاهر الطبيعة في شعره فشاركها مشاركة وجدانية ، حيث أجاد وأبدع معتمداً على خياله فقدَّم لنا لوحة تنمّ عن امتزاجه في الطبيعة وصدق عاطفته نحوها ، وتشخيصه لها، حتى أصبحت لسان نجواه وخفقة قلبه [١١] .

إنَّ التشخيص الذي استعمله الشاعر في مبالغته بإضفاء الصفات الإنسانية على الطبيعة ، حيث جعل للهضاب احاسيس ومشاعر حزنت و شاركته الحزن كذلك النجوم الزهر المضيئة أشفقت لحاله ولألمه وتوجعه وحرارة عاطفته فبدت مظلمة ، ذلك يدل على المكانة التي تحتلها المرثية والتي تسجل لها البقاء والخلود .

إنَّ براعة الشاعر في إظهار التشخيص رغبة منه في إضفاء سرّ الحياة بوجوده الإبداعي فبثّ الحيوية والحياة في الموجودات وجعلها تشاركه في إحساسه ومشاعره ، وحملها على روح الأنسنة التي غدت ركناً من أركان الفن الإبداعي الذي يتوجه إليه المبدع ، فيشرك الطبيعة الساحرة "في معاناته وتبادله الإحساس والشعور متفاعلة معه ومع معاناته ومشاعره" [١٢] .ومن الإغراق الحسن المقبول والأداة المقرِّبة إلى الصحة قول الحصري القيرواني (ت٤٨٨ هـ) في مقدمته الغزلية : [١٣]

يا ليلُ الصَّبُّ متى غدهُ أ قيامُ السّاعةِ مَوْعِدُهُ

ينضوُ مِنْ مُقْلتِهِ سَيْفاً وكأنَّ نُعاساً يُغْمدهُ

فيُريقُ دمَ العشّاق به والويلُ لِمَنْ يتَقلَّدُهُ

يا مَنْ جَحَدَتْ عيناهُ دَمي وعلى خَدَّيْهِ تَوردُّهُ

خدَّاكَ قد اعترفا بدمي فعلامَ جفونُكَ تَجْحَدهُ

لقد ضرب الشاعر أبرع الصور وأفتنها لوصف عيني محبوبته ، إذ كانت مبالغته في التصوير بائنة وصلت حدَّ الإغراق فيقول ، ما إنْ تنظر إليك ، يخرج من عينيها سيف باتجاهك ليقتلك ، لكن النعاس الفاتن على عينيها يعيد ذلك السيف لغمده :

(ينضوُ مِنْ مُقْلتِهِ سَيْفاً وكأنَّ نُعاساً يُغْمدهُ)

فقد أغرق بتشبيه نظرات المحبوبة بالسيف ، وأبدع حين شخَّص النعاس الذي على عينيها (وهو شيء معنوي) في صورة إنسان تمكّن من إعادة ذلك السيف إلى غمده، إذْ أنَّ العين الناعسة هي أفتن العيون وأحلاها ، فجمعت محبوبته بين العين القاتلة والعين الناعسة ؛ فهذه تفيد تلك ولا تدعها تقتل ،لقد وصل الشاعر في وصفه هذا إلى حدِّ الإفراط في الإغراق في المبالغة ؛ لكن ذكره لأداة التشبيه (كأنَّ) قرَّب المعنى إلى الواقع وزاده وضوحاً وكسبه تأكيداً [١٤] ،ثم يواصل الشاعر قائلاً : إنَّ سيف عيني محبوبته أراق دمهُ ،

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

وعينيها الناعسة تحاول أن تخفيه جاحدة ومنكرة قتلها له وسفكها دمه؛ لكنَّ حمرة وجنتيها وتوردهما أكبر دليل على أنَّها هي التي قتلته :

(يا مَنْ جَحدَتْ عيناهُ دمي وعلى خدَّيه توردهُ)

إنَّ استعمال الشاعر لهذا الاسلوب – التشخيص – البلاغي الجميل في أبياته يدل على جودة قريحته وامتلاكه قدرات بلاغية متنوعة تكشف براعته في صنع صورته الشعرية وقدرته على التأثير في المتلقي على الـرغم من كونه شاعر كفيف محروم من هذا كله ، فأعينه معطلة عن النظر وليست لديه قدرة على إدراك الجمال ومعاينته ، فهو يفتقد جمال العين في وجهه وإدراك جمالها عند الاخرين ، لذا كان تغزله بها تعويضاً عن حرمانه منها .

ويعاود إلى إغراقه في المبالغة ، إذ شخَّص خدود المحبوبة بسكب صفات إنسانية عليها فاستنطق الخدود بما هو من صفات العاقل ، فجعلها إنساناً يعترف بجريمتها ، يقرُّ ويشهد على عينيها متلبسة وحمرة الخدين دليلٌ على ذلك :

(خداكَ قد اعْترفا بدمي فعلامَ جفونك تجْحدهُ)

وهذا الوصف لا يمكن حدوثه في الواقع ، لكن العقل يحتمل أنْ يصدق ذلك ؛ لحضور حسن التخييل في أسلوب الشاعر الذي قرب ذلك المستحيل وأنزله منزلة الواقع .

وللإغراق المقبول حضور في غزل ابن حمديس (ت٥٢٧ هـ) إذ يقول : [١٥]

لها العَتْبُ ، هذا دأبها ولَيَ العَتْبى سلمتُ من التعذيبِ لو لم أكنْ صَبَّا

. . .

يكادُ وليد الذرِّ يجرحُ جسمها إذا صافحتْ منها أناملهُ الإتْبا

فالإغراق هنا يبدوا واضحاً فلو كان وليد الذر قد لمس جسمها لجرح ذلك الجسم لرقته ونعومته:

(يكادُ وليد الذر يجرحُ جسمها إذا صافحتْ منها أناملهُ الإتْبا)

لقد أفرط الشاعر في وصف رقّة محبوبته وعذوبتها لدرجة أنَّ ملامسة صغير النمل لجسمها يجرحه ويؤذيه ، لكن الذي حسَّن هذا الإغراق المفرط وجعله مقبولاً هو دخول لفظة (كاد) التي صيرت ما بعدها قريب الوقوع لا واقعاً كما كان الشأن قبل دخولها ، فقد تفنن الشاعر في انتقاء الكلمات والمعاني الدالة على إغراقه في المبالغة ، والتي تعبِّر عن رقة المحبوبة وجمالها ، فقد جعل من الفاظه وعاء لجمال المعاني ليأسر قلب المتلقي ويجذب انتباهه ، فوعي الشاعر الجمالي وإبداعه الشعري يمنح القصيدة دلالة فنية على المعنى المراد ، فشعره " مرآة صافية تجلت فيها أخلاقه فهو عفيف اللفظ ، نبيل الفكرة " [١٦].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

ومن الوصف أيضاً قول ابن دراج القسطلي (ت٤٢١ هـــ) : [١٧]

جِهادكَ حُكْمُ اللهِ مَنْ ذا يَرُدُّهُ وَ عَزْمُكَ أمْرُ اللهِ مَنْ ذا يَصُدُّهُ

كَتائِبُ لو يُرْمى بها الدَّهْرُ قَبْلَنا لَزُلْزِلَ ذُو القَرْنَيْنِ منها وَ سَدُّهُ

كأنَّ فضاءَ الأرْضِ أُلبِسَ منهُمُ لَبُوساً من الماذيِّ قُدِّرَ سَرْدُهُ

تُهَدُّ بهم شُمُّ الجبالِ فإن هَفوْا فلَحْظُكَ يَرْمي جَمْعَهُمْ فَيَهُدُّهُ

فما ينظُرُ الأعْداءُ إلاّ عَجاجَةً يَسِيرُ بها الرَّحمن فيها وَعَبْدُهُ

يعمد الشاعر في هذه الأبيات إلى المبالغة حدَّ الإغراق في وصف كثرة الجيش وعتاده، وقد وظف عناصر الطبيعة من جبل وشمس وسيول ٠٠٠ كما أسرف في تصوير قوة هذه الكتائب وعجز الزمان في وقوفه أمام تحركها معتمداً في هذا على قصة ذي القرنين التي استمدها من القرآن الكريم، وعجز يأجوج ومأجوج أمام السد في قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ٠٠٠**﴾[١٨]

(كَتائِبُ لو يُرْمى بها الدَّهْرُ قَبْلَنا لَزُلْزِلَ ذُو القَرْنَيْنِ منها وَ سَدُّهُ)

ويعود الشاعر إلى المبالغة حدَّ الإغراق في وصف الأرض التي لبست دروعاً بيضاء من جيوش ذلك القائد الذي استطاع هدم الجبال الراسيات بلحظه الذي يعكس حدة نظره المعبِّر عن شخصيته القيادية :

(كأنَّ فضاءَ الأرْضِ أُلبِسَ منهُمُ لبُوساً من الماذيِّ قُدِّرَ سَرْدُهُ)

فيتفاجأ تجمع الأعداء بهذا الجيش الغزير الذي أثار غباراً ودخان ملأ الأرض ، وهذا كله برعاية الله وحفظه لها :

(فما ينظرُ الأعْداءُ إلاّ عَجاجَةً يَسيرُ بها الرَّحمن فيها وعَبْدُهُ)

إنَّ عجزَ الدهر على الوقوف بوجه قوة هذه الكتائب التي لبست الأرض منها دروعاً لينة بيضاء أمر ممتنع في العادة ولكن الناظم سكبها في قوالب جعلها قريبة ومقبولة عقلاً فأدخل عليها (لو و كأنَّ) التي خففَّت من الإفراط في الإغراق وجعلته أقرب إلى الصحة والقبول وهذا " ما يثير المتلقي ويبعث في نفسه الدهشة والمتعة في آن واحد " [١٩]

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

ومنه أيضاً قول ابن الزقاق البلنسي (ت٥٣٠هـ) واصفاً فرساً : [٢٠]

وأدْهَمَ لولا سنا غُرَّةٍ له لكسا البدرَ منه سرارا

تلهَّبَتِ الأرضُ مِنْ عَدْوِهِ فأورى بِزَند الصّفا الصلدِ نارا

اقبُّ إذا ما تعاطى السّباق مع الهوُجِ أوثقهنَّ إسارا

حَذوْهُ الحديدَ اهتضاماً وظلماً ولو أنْصَفُوهُ حَذَوْهُ النُّضارا

لقد سلك ابن الزقاق في وصفه طريقاً من طرائق المبالغة وهو الإغراق ذلك لما له من دور فعَّا ل في إبراز رؤاه ، وتكوين صور غاية في الجمال لموصوفه فقد كان ابن الزقاق من المفتونين بالجمال والتصوير الذي اغناه بخياله الرحب مما جعله يشكِّل لوحة فنية أخاذة استمد عناصرها من الطبيعة الساحرة فكم تبدو جميلة صورة ذلك الفرس الأدهم الذي تهتز الأرض من عدوه ، ذلك الفرس الذي لولا وجود الغرّة التي تغطي بياض جبهته لاكتسا البدر منه السواد حدَّ الاكتفاء :

(وأدْهَمَ لولا سنا غُرَّةٍ له لكسا البدرَ منه سرارا)

فإذا ما عدى في سباق مع الريح تجد الأرض تلتهب من عدوه فتوقد في الصخر الأملس الصلب ناراً:

(تلهَّبَتِ الأرضُ مِنْ عَدْوِهِ فأورى بِزند الصّفا الصلدِ نارا)

مثل ذلك الفرس وبتلك الصفات الفريدة التي يحملها من الظلم أنْ تكون حذوته حديداً ،والإنصاف أنْ يقلد بحذوة من الذهب والفضة تقديراً لما توشَّح به من تلك الصفات :

(حَذَوهُ الحديدَ اهتضاماً وظلماً ولو أنْصَفُوهُ حَذوَهُ النُّضارا)

لقد بدى الإفراط في الإغراق بالوصف واضحاً لدى الشاعر " وهذا أمرٌ ممتنع عادةٌ و إنْ كان غير ممتنع عقلاً " [٢١].

فقد استعمل أدوات الامتناع (لولا، ولو) الواردة في أبياته ليقرّبه إلى الصحة والقبول ، ويجعل منه إغراقاً حسناً ، فقد صاغ الشاعر ذلك الوصف صياغة شعرية إبداعية ذات إمكانية دلالية كبيرة تستمد جمالها من روح الشاعر وتألقه وتفصح للمتلقي عن جودة السبك عند ناظمها[٢٢] .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

ومنه ما جاء في قول ابن حمديس (ت٥٢٧ هـــ) واصفاً يوماً مُمْطراً على روض يقول : [٢٣]

أيّ نَعيمٍ في الصِّبَا والمُقْتَرَحْ وشغلُ كفَّيّ بكوبٍ وَقَدَحْ

...

يَومٌ كأنَّ القَطْرَ فيهِ لؤلؤٌ يَنْظِمُ للرَّوْضِ عُقوداً وَوَشَحْ

يَقْدحُ ناراً مِنْ زِنادِ بَرْقِهِ ويُطفئُ الغَيْثُ سَريعاً مَا قَدَحْ

يتمتع المبدعون " بإحساس كبير بالبيئة ، وهذا يمكنهم من ملاحظة الأشياء التي لا يلاحظها الآخرون غالباً "[٢٤]، فللإبداع طرائق ليس لها نهاية تقف عندها ، وللأندلس بيئة ملائمة للإبداع ومحفزة عليه ، وإثارة القدرة على التفكير الإبداعي ؛ لأنَّ المرء إذا اعتاد النظر إلى الجوانب الجميلة من الأشياء نجده يميل إلى التفاؤل والألتفات إلى كلِّ ما هو جميل ومبتهج ، وابن حمديس ببراعته وقدرته الإبداعية مزج بين خياله الخصب واستعماله للأدوات في إنزال الإغراق في المبالغة منزلة القبول ، إذ بالغ في وصف ما تقوم به قطرات المطر بأنْ اضفى عليها صفات إنسانية هي نظمها عقود من اللؤلؤ لتتزين السماء وتزيد من حلاوة الطبيعة وجمالها :

(يَومٌ كأنَّ القَطْرَ فيهِ لؤلؤٌ يَنْظِمِ للرَوْضِ عُقُوداً وَوَشَحْ)

فتشبيه الشاعر هذا باستعماله الأداة (كأنَّ) قرَّب الإغراق في المبالغة إلى عقل المتلقي ، وأنزله منزلة القبول .

ثم تبرز قدرة الشاعر الإبداعية باستثمار الطبيعة في خياله واجلاسها على عرش الجمال ، فقد بالغ الشاعر في رسم صورة متحركة للسماء ، إذْ يقدح البرق من شرره النار ، والغيث يهرع مسرعاً إلى إطفاء ناره ، فقد تخيَّل الشاعر ببراعة السبب في سرعة اختفاء نور البرق ، ذلك أنَّ المطر سريعاً ما أطفأه بقطره :

(يَقْدَحُ ناراً مِنْ زِنادِ بَرْقِهِ ويُطفئُ الغَيثَ سريعاً مَا قَدَحْ)

لقد لمس المتلقي قبول الإغراق في المبالغة حين حلّق الشاعر بخياله الخصب وتوظيفه له في تقريب صورته إلى ذهن المتلقي وإنزالها منزلة القبول .

أما الشاعر ابن زيدون (ت٤٦٣ هـــ) فقد مزج الشكوى في شعره بنوعٍ من الإغراق في المبالغة قائلاً : [٢٥]

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

ألمْ يَأنْ أنْ يبكي الغَمامُ على مثلي ؟ ويَطْلُبُ ثأري البَرقُ مُنْصَلتَ النَصْلِ ؟

. . .

ولو انْصفَتْني وَهْيَ اَشْكالُ هِمَّتي لأَلقَتْ بأيدي الذُلِّ لَمَّا رَأتْ ذُلِّي

وَ لافْتَرَقَتْ سَبْعُ الثُريَّا وَغاضَهَا بمطلعها ما فرَّقَ الدّهْرُ مِنْ شَمْلي

. . .

ولو أنَّني اسْطيعُ كيْ أُرْضِي العِدا شَرَيْتُ بِبعْضِ الحِلْمِ حَظًّا مِنَ الجَهْلِ

. . .

جَوَادٌ إذا اسْتَنَّ الجِيَادُ إلى مَدَى تَمطَّرَ فاسْتَوْلَى على أَمَدِ الخَصْلِ

تجلت براعة الشاعر في صورته التي بالغ حدَّ الإغراق والتي مزج فيها بين مشاعره ومعاناته في الحبس والطبيعة ، فلو أنصفته النجوم التي حزنت على آثاره الطيبة وذكراه الحسن ، تلك النجوم العالية كهمته لهوت ذليلة حين ابصرت ذله وهوانه :

(ولو انْصفَتْني وهي اشْكالُ همَّتي لأَلقَتْ بأيدي الذُلِّ لَمَّا رَأتْ ذُلِّي)

بل وحتى نجوم الثريا تفرقت بعد ائتلافها وأخذت تنقص بعد تمامها حزناً وألماً على ما فعله الدهر بتفريق شمله :

(وَ لافْتَرَقَتْ سَبْعُ الثُريَّا وغاضَها بمطلعها ما فَرَّقَ الدَّهرُ مِنْ شَمْلي)

لقد كان لتشخيص النجوم وهي مظهر من مظاهر الطبيعة دور بارز في صورة الشاعر المبالغ فيها ، حيث أضفى عليها صفات إنسانية كالأنصاف والافتراق وهي أحاسيس بشرية وظفها الشاعر للتوسيع بالرؤية الفنية .

فإنصاف النجوم وتفريقها حزناً على حال الشاعر أمر مستحيل الحصول في العادة لكن الشاعر قرَّب ذلك المستحيل إلى الذهن بإدخال الأداة (لو) لإثارة المتلقي وجذب انتباهه لتقبّل النص .

ثم نجد الشاعر يفخر بنفسه ويبالغ بالاعتداد بها كأنَّه لم ينظم الشعر " لإرضاء شخص آخر غير نفسه "[٢٦] ، فما تعرَّض له في بدايات نكباته ومفتتح سجنه إنّما بفعل دسائس الأعداء والوشاة الذين لم ينالوا منه ؛ لأنه

يتقدم عليهم بعلمه وفضله ، فهو لا يستطيع إرضاء أولئك الأعداء إلاّ إذا تخلى عن علمه واشترى الجهل فيصبح جاهلاً كما يجهلون :

(ولو أنني اسْطيعُ كيْ أُرضيَ العِدا شَرَبْتُ بِبعْضِ الحِلْمِ حَظاً مِنَ الجَهْلِ)

وهذا أمر لا يمكن حصوله في العادة ، إذ لا يستطيع رجل واثق من نفسه ، محافظ على كرامته أنْ يتذلل جاهلاً ويريق ماء وجهه فجاء الشاعر بالإغراق للتذكير بأنه ليس كعامة الناس إنّما له شأن ومنزلة علمية واستعارة تشيع فيها روح الكبرياء والعزة ، فهو يتقدّم على أعدائه الحاسدين كما يتقدم الجواد السابق على سائر الجياد في ميادين السباق :

(جَوَادٌ إذا اسْتَنَّ الجِيادُ إلى مَدَى تَمطَّرَ فاسْتَوْلى على أَمَدِ الخَصْلِ)

استطاع الشاعر باستعمال الأداة (لو) أنْ يقرب المعنى إلى الصحة والقبول إذ جعل المتلقي يدرك ما قصد من وراء مبالغته ، " إذ تبهر المتأمل شعره هذه القدرة الفائقة في التعبير والبناء الصوري المومئ إلى خيال خلاق " [٢٧] ونفس شعري يمنح شعره جمالاً فنياً رفيع المستوى.

الخاتمة :

وتأسيساً على ما تقدم توصلت الباحثة إلى أنَّ للإغراق الذي يعد أحد مستويات المبالغة حضور في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين ، فهو ضرب من ضروب المحسنات البلاغية لا يتمكن منه إلا الشاعر المولع به ، البارع في التصوير ، الدقيق في انتقاء الألفاظ التي تحقق فصاحة الكلمة وبلاغتها وما لها من دلالة معنى في الأبيات الشعرية التي غالباً يكثر فيها الإغراق الممتنع عادة لا عقلاً ٠

وقد استطاع الشعراء ببراعةٍ وبدقة تقريب الإفراط في الإغراق في المبالغة إلى درجة الصحة والقبول باستعمال الأدوات التي قربت المعنى إلى المقبولية بهدف تسهيل فهمها للسامع والإستمتاع بها ٠

الهوامش :

١- القرآن الكريم .

٢ – المبالغة في شعر المديح عند ابي الطيب المتنبي وابن هانئ (دراسة مقارنة) ، مسعود اقبالي ، جامعة الكوفة – كلية الآداب ، مجلد ١١ – العدد ٣٩ ، ٢٠١٩ م : ٤٥٥ .

٣ – ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ، ج ٢، ابن حجة الحموي ، شرح : عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ،بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧ م : ١٢ .

٤- ينظر : علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ،١٩٩٣ م : ٣٣٧ .

٥- ديوان ابن اللبانة الداني ، تح : محمد مجيد السعيد ، دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان –الاردن ، ط ٢ ،٢٠٠٨ م : ١٣٥ .

٦- خزانة الأدب وغاية الأرب : ١٤٩ .

٧- علي الحصري القيرواني ، تح : محمد المرزوقي والجيلاني ابن الحاج يحيى ،تونس مطبعة سنباكت ، (د.ط) ، ٢٠٠٨ م : ٢١٩ -٢٢٢ .

٨- ينظر : ديوان ليل الصب ، مجموعة معارضات قصيدة أبي الحسن الحصري القيرواني ، عني بجمعها : محمد علي حسين ، منشورات الأديب ، مطبعة الإيمان – بغداد ، ط ١ ، ١٩٦٨م : ١٥ .

٩- الجواري في الأندلس،أبو الصالح وائل ، منشورات دار القلم ،رام الله ، ط ١،١٩٨٥م :١٢١.

١٠- ديوان ابن حمديس الصقلي ،صححه وقدم له : د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) : ٢١٢ – ٢١٣ .

١١ – ديوان الأعمى التطيلي ، تح: مُحي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب – لبنان ، ط١، ٢٠١٤ م : ٢٤٤ – ٢٤٥ .

١٢- ينظر : في الأدب الأندلسي ، د. جودت الركابي ،دار المعارف مصر ، ط٢، ١٩٦٦ م : ١٣٣ .

١٣- التجديد في الشعر الأندلس قراءة في نماذج مختارة أ.م.د . خالد عبد الكاظم عذاري الماجدي ، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الإنسانية ، مجلد٤٤- العدد٤ب ، ٢٠١٩ م : ٧٦ .

١٤- علي الحصري القيرواني : ٢١٩ .

١٥- ينظر : البلاغة وفنونها عند النقاد والبلاغيين الأندلسيين (عصر المرابطين والموحدين) ، د. شريف علاونة ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٦ م : ١٦ .

١٦ – ديوان ابن حمديس : ٥٠ .

١٧ – تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا ، أحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) : ٣٣٦ .

١٨ – ديوان ابن دراج القسطلي ، تح : د. محمود علي مكي ، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ، ط ١ ، ١٩٦١ م : ٨١ – ٨٥ .

١٩ – ابن الرومي قراءة نقدية في شعره ، د. سامي ابو زيد ، دار العالم الثقافية ، (د.ط) ، ٢٠١٥ م : ٤٥٨ .

٢٠ – ديوان ابن الزقاق البلنسي ، تح : عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، (د.ط) ، ١٩٨٩ م : ١٧٥ .

٢١ – علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) : ١٠١ .

٢٢ – ينظر : جماليات اليومي والمألوف المشبع بفاعلية الترميز وأفقه الدلالي في شعر فوزي السعد ، إقبال فلاح حسن ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ، مجلد ٤٥– العدد٢ ،٢٠٢٠م : ٣٨٢ .

٢٣– ديوان ابن حمديس : ٨٥ – ٨٧ .

٢٤ – سيكولوجية الطفل المبدع ، ممدوح عبد المنعم الكناني ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان – الأردن ، ط ١ ، ٢٠١١م : ٨٧ .

٢٥– ديوان ابن زيدون ورسائله ، تح : علي عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ط) ، (د.ت) : ٢٦١ – ٢٦٧ .

٢٦ – في الأدب الأندلسي ، جودت الركابي : ١٩٨ .

٢٧– ينظر : التناص القرآني في شعر ابن زيدون واثره في ابداعه الفني ، د. عبد الحسين طاهر محمد الربيعي ، مجلة ميسان للدراسات الاكاديمية ، المجلد ١٦ – العدد ٣١ ، ٢٠١٧م : ١٠٦ .

المصادر والمراجع :

أولا : الكتب :

١ – القرآن الكريم .

٢ – ابن الرومي قراءة نقدية في شعره ، د. سامي أبو زيد ، دار العالم الثقافية ،(د.ط)، ٢٠١٥م.

٣– البلاغة وفنونها عند النقاد والبلاغيين الأندلسيين (عصر المرابطين والموحدين)، د. شريف علاونة ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

٤ – تاريخ الأدب العربي في الأندلس للمدارس الثانوية والعليا ، أحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطبع والنشر– القاهرة ، (د.ط) ،(د.ت) .

٥– الجواري في الأندلس ، أبو الصالح وائل ، منشورات دار القلم ، رام الله ، ط ١ ، ١٩٨٥ م.

٦ – خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن الحجة الحموي ، ج2 ، تح : عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت– لبنان ، ط ١، ١٩٨٧م .

٧ – ديوان ابن حمديس الصقلي ،صححه وقدم له : د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت ،(د.ط) ، (د.ت) .

٨ – ديوان ابن دراج القسطلي ، تح : د. محمود علي مكي ، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، ط ١، ١٩٦١ م .

٩– ديوان ابن الزقاق البلنسي ، تح : عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، ١٩٨٩ م

١٠ – ديوان ابن زيدون ورسائله ، تح : علي عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ط) ، (د.ت) .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٢ – المجلد ٤٨ – حزيران لسنة ٢٠٢٣

١١ – علي الحصري القيرواني ، تح : محمد المرزوقي والجيلاني ابن الحاج يحيى ، تونس – مطبعة سنباكت ، (د.ط) ، ٢٠٠٨م ٠
١٢ – ديوان ابن اللبانة الداني ، تح : محمد مجيد السعيد ، دار الراية للنشر والتوزيع عمان – الأردن ، ط ٢، ٢٠٠٨ م ٠
١٣ – ديوان ليل الصب ، مجموعة معارضات قصيدة ابي الحسن الحصري القيرواني ، عني بجمعها ، محمد علي حسين ، منشورات الأديب – مطبعة الإيمان – بغداد ، ط ١ ، ١٩٦٨م ٠
١٤ – سيكولوجية الطفل المبدع ، ممدوح عبد المنعم الكناني ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان – الأردن ، ط ١ ،٢٠١١م .
١٥ – علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) ٠
١٦ – علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٣م ٠
١٧ – في الأدب الاندلسي ، د. جودت الركابي ، دار صادر بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) ٠

ثانيا : الدوريات :

١ – التجديد في شعر الأندلس قراءة في نماذج مختارة ، أ . م . د. خالد عبد الكاظم عذاري الماجدي ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ، مجلد ٤٤– العدد ٤ ب ، ٢٠١٩م ٠
٢ – التناص القرآني في شعر ابن زيدون واثره في إبداعه الفني ، د. عبد الحسين طاهر محمد الربيعي ، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية ، مجلد ١٦– العدد ٣١ ، ٢٠١٧م ٠
٣ – جماليات اليومي والمألوف المشبع بفاعلية الترميز وأفقه الدلالي في شعر فوزي السعد ، إقبال فلاح حسن ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ، مجلد ٤٥ – العدد ٢ ، ٢٠٢٠م ٠
٤ – المبالغة في شعر المديح عند أبي الطيب المتنبي وابن هانئ (دراسة مقارنة) ، جامعة الكوفة ، كلية التربية ، مسعود اقبالي ، مجلد ١١ ، العدد ٣٩ ، ٢٠١٩م ٠